

المصطلح القرآني وعلاقته بالهندسة المعمارية

إعداد

م. عبد العزيز الصالحي

مهندس متخصص في الهندسة المعمارية - الرباط
المغرب



المؤتمر العالمي الرابع للباحثين في القرآن الكريم وعلومه



مقدمة

في بداية هذه الورقة أتطرق إلى مصطلحين أساسيين مرتبطين بمهنة الهندسة المعمارية، أمل ترسيخهما بين أوساط المتخصصين والمهتمين، ليحلّا محلّ المترجم من الفرنسية وهما، مصطلحا العمران والبنيان :

• العمران¹ : في مفهومه الشامل هو كل إنتاج حسيّ أو معنوي يحقق عبادة الله في الأرض، ومفهومه في التخصص هو نتاج تفاعل الإنسان مع بيئته، بممارسة الأنشطة لإشباع متطلبات الحياة، ومنها مجالات البناء والإنشاء. ولهذا نطلق مصطلح العمران على تهيئة المجال الترابي بتوجيه التخطيط الحضري والقروي وبناء المدن والقرى، وتدير كل ما يرتبط بها من أنشطة فلاحية وصناعية وسياحية...

وقد أصبح مصطلح العمران متداولاً بهذا المفهوم بين المختصين² وكذا العلماء³ والكتاب⁴.

• البنيان⁵ : ضم الشيء بعضه إلى بعض حتى يثبت ويستقر. والبنيان من أهم مكونات

¹ - عرّف ابن خلدون العمران ب: (الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم، وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل التوحش والتأنس والعصبيات وأصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض، وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها، وما ينتحله البشر بأعمالهم ومسايعهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع، وسائر ما يحدث في ذلك العمران بطبيعته من الأحوال). مقتطف من مقدمة ابن خلدون، ص55.

² - المعماري عبد اللطيف الحجامي - رحمه الله - بلور مصطلح العمران بهذا المفهوم خلال تأطيره لمؤثرات التراث بالمدرسة الوطنية للهندسة المعمارية (المغرب)، والمعماري مصطفى أحمد حموش له مؤلف بعنوان فقه العمران الإسلامي، والمعماري يحيى وزيري له مقال منشور في هذا الصدد، والمعماري أكرم علي شاه جيلاني له كتاب بعنوان Architecture & Town plaing in The Holy Qur'an قام فيه بحصر العديد من المصطلحات القرآنية في مجالات متعددة متنوعة وردت في بعض آيات القرآن الكريم، الكتاب مطبوع سنة 1990م، صادر عن: ..., Lahore, Karachi Feroz sons.

³ - وهبة الزحيلي له مقال منشور حول مصادر فقه العمران ...

⁴ - خالد عزب له مؤلف بعنوان فقه العمران ...

⁵ - قال الراغب في "المفردات": «يقال: بنيت أبنياً بناءً وبنيّةً وبُنيّاً»، أما في الاصطلاح فهو أقرب إلى التعاريف اللغوية، فيعتبر "البنيان" من "البناء" أو "مما يُبنى". ويفهم من نصوص فقهية كثيرة أن مفهوم "البنيان" مناقض لمفهوم الصحراء أو الفلاة. ص147.

العمران، وهو كل: "بناء منضبط بأحكام وأصول ومبادئ وقواعد ومقاصد، يكون الشكل فيه الإطار المجالي الملبي للمتطلبات من خلال الوظائف التي يحتويها، وتلقفه لمسة من الجمال يبدعها المعماري"¹.

وبما أن العلماء في كتاباتهم يطلقون البنيان على العمران، فإننا نقتبس من علماء أصول الدين قولهم عند تكلمهم عن الفرق بين الإسلام والإيمان، أنهما "إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا"، أي إذا ذُكرَ معاً فإن لكل منهما معناه الخاص، وإذا ذُكر أحدهما دون الآخر فإنه يتضمن الآخر غير المذكور.

إن العلوم الشرعية تُكوّن وحدة متكاملة، فكل علم منها يكمل الآخر وقد يفتقر إليه، إلا أن علاقة العلوم المادية

بالعلوم الشرعية لا تبدو جلية للبعض، ومن مسببات هذه الإشكالية، ابتعاد الأمة عن دينها القويم، وفصل العلوم الشرعية عن العلوم المادية في مناهج التعليم، وتقليدها للآخر وتبعية خطواته شبرا شبرا، كما جاء في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم. قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال فمن؟»²

فقد أصبح من الضروري الإمام بالقدر اللازم من العلوم الشرعية لاستيعاب ما أنتجه العقل المسلم وإدراكه. لأن العمران منتوج أصيل، استمدّ روحه من الشريعة الإسلامية التي جاءت لتنظيم حياة الناس في العبادات والمعاملات، فالإسلام دين شامل ينظم حياة الفرد في كل المجالات ويوجّهها ويؤطرها، يقول الله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ سورة النحل (89).

والعمران علم، له ارتباط وثيق بالقرآن، ، ودارسُه في حاجة إلى الإمام بما جاء في القرآن، لأن "ارتباط العمران بالقرآن إذن، ارتباط السبب بالمسبب... إذ العمران مرتبط بالوظيفة الأصلية لأدم وبنيه، التي هي الخلافة والتي حددت في ما سماه "عبادة الله وحده لا شريك له"، التي تقررها

¹ - نحو تصور إسلامي معاصر لقضايا العمران، العربي بوعياذ، مجلة حراء، عدد 27، ص 19.

² - صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، حديث 2126، ج 7، ص 760.

الآية: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات، 56).¹

فقد جاء القرآن المبين بتوجيهات إجمالية للعمران، وتغاضى عن الأمور التقنية ودقائق الأمور، لكنه سنّ قواعد وضوابط وأحكاما وحقوقا تحقق جميع ضروريات الأمة. هذه التوجيهات بلورها الفقهاء بجهودهم العلمية واجتهاداتهم المبنية على الاستنباط والاستلزام والقياس ومراعاة المصالح والمفاسد.

فمن واجب الإنسان عمارة الأرض بالأعمال الصالحة عامة وبالعمران خاصة، شريطة أن يكون ذلك على تقوى من الله، وفي قوله تعالى: ﴿أَقْمِنَ أَسَسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنَ أَسَسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانَهَارٍ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ سورة التوبة (109).

جاءت هذه الآيات في سياق اتخاذ بعض المنافقين مسجدا ضرابا مجاورا لمسجد قباء، قال ابن العربي: "ومعناه: أقمن أسس بنيانه على اعتقاد تقوى حقيقة خير آمن أسس بنيانه على شفا جرف هار".²

وانطلاقا من الآية، يجب على كل بناء أن يؤسس على تقوى الله ورضوانه، سواء أكان البناء ماديا كالعمران والإنشاءات، أم معنويا كالأعمال التي يقوم بها الفرد.

فلذا أصبحت الانطلاقة من القرآن ملحة لما تمليه ضرورات البحث والتأصيل لردّ معالم الشهود الحضاري للأمة إلى نصابها واستعادة الإمامة العلمية تصورا وبحثا وتطبيقا وعرضا للنماذج.³

فقد نزل القرآن لسانا عربيا نصا أودع "فيه سبحانه وتعالى علم كل شيء... فترى كل ذي فن منه يستمد وعليه يعتمد، فالفقيه منه يستنبط الأحكام، ويستخرج منه الحلال الحرام، والنحوي يبني منه قواعد إعرابه، ويرجع إليه في معرفة خطأ القول وصوابه، والبياني يهتدي به إلى حسن النظام...".⁴ لذا فالرجوع إليه يستوجب إتقان اللغة العربية، وإتقانها يستلزم الإحاطة

¹ - من القرآن إلى العمران، البوشيخي الشاهد، مجلة حراء التركية، عدد 35.

² - أحكام القرآن، أبو بكر ابن العربي، ج 2، ص 639.

³ - دراسات مصطلحية "مبدع"، عبد المجيد طرباق، العدد الثالث، ص 222.

⁴ - الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، ج 1/ ص 4.

بمصطلحاتها لـ" تسمية الأشياء بأسمائها، وضبط كلمات الله عز وجل لكيلا يعترها تبديل أو تغيير. والدين، منذ كان، تعريف وتثبيت لمفاهيم المصطلحات الأساسية التي يقوم عليها التصور الصحيح للكون والحياة والإنسان..."¹

وبالرجوع إلى الفقه وأصوله نجد مادة علمية دسمة تساعد الباحث في الدراسات المصطلحية على الوصول إلى المبتغى المنشود، "ذلك أن أجدادنا من العرب قد استعملوا لما نقول له اليوم المنهجية، "عبارة الأصول"...، فلنعد إلى علم أصول الفقه لنرى ما فيه، من ذلك: الأصل بقاء ما كان على ما كان...والقديم يترك على قدمه. ففي هاتين القاعدتين أصل جليل يحسن أن نأخذ به في مجال المصطلحات، فنترك المصطلح القديم على قدمه ما كان صالحا، ولا نعدل عنه إلا لمسوغ واضح، وبذلك نستعيد شطرا صالحا من مصطلحات أسلافنا إلى مجال المناقشة. ذلك أنه ما ثبت بزمان يحكم ببقائه ما لم يقم الدليل على خلافه..."²

إذن فالرجوع إلى المصطلح العمراني في القرآن المبين أصبح حتميا، لإدراك العلوم حتى يتصالح أهل الاختصاص مع المصطلح الأصيل وبالتالي استيعاب ما دُون في أمهات الكتب التراثية الفقهية، واكتساب الدربة والملكة في فهم النصوص وطرق الاستنباط وكشف خبايا التراث العمراني. وغاية ذلك هو إنتاج عمران يلبي الحاجات المادية والروحية للمسلم المعاصر. ولتقصي المصطلح العمراني في القرآن الكريم ومدى حضوره في جهازه المصطلحي، نتناول الموضوع من خلال النقاط الآتية، كما جاء في الورقة التوجيهية للمشرفين على المؤتمر:

¹ - قول في المصطلح، الشاهد البوشيخي، دراسات مصطلحية "مبدع"، العدد الأول، ص5.

² - حول وضع المصطلح وتعريف المصطلح: ملاحظات ميدانية، محمد هيثم الخياط، دراسات مصطلحية "مبدع"، العدد الثالث، ص27، (بتصرف).

أولاً- رصد حضور المصطلح القرآني في الجهاز المصطلحي للعمران.

بالإضافة إلى المجهود الشخصي والرجوع إلى ما أُنجز في هذا الموضوع، من باحثين ومهتمين بالمصطلح العمراني في

القرآني الكريم ، ومن هؤلاء : المعماري يحيى وزيري¹ الذي أحصى سبعةً وثلاثين ومئة (137) مصطلحاً، والدكتور النمينج في بحثه لنيل الدكتوراه² الذي عدّ ثلاثةً وسبعين (73) مصطلحاً... ثم الاستعانة بمعجم لسان العرب لابن منظور³، والمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لفؤاد عبد الباقي⁴، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني⁵، ومعجم ألفاظ القرآن في علم الحضارة الإسلامية لعثمان عثمان إسماعيل⁶، تم رصد ما يفوق ثمانين وثلاثة مئة (308) مصطلحاً ، قسمت إلى ملحقين:

الملحق الأول: يضم المصطلحات القرآنية الحاضرة في العمران.

الملحق الثاني: يضم المصطلحات غير المستعملة في التراث العمراني.

وتبقى النقطة الفاصلة، هي تصنيف هذه المصطلحات بشكل يقبله العقل، ويستسيغه المختص، ويستطيعه المهتم، ويقبل عليها المستعمل - المهندسون المعماريون خاصة - ليكتب الله قبول هذا المصطلح والإيمان به ثم تبنيّه والدفاع عنه.

وستصنف هذه المصطلحات تصنيفاً معاصراً حسب المنهجية المعمول بها في التخصص، وحسب طرق اشتغال المهندس المعماري ومنهجية تدخله في المجال، وهكذا تم جمعها وتصنيفها

¹ - يحيى وزيري، مصطلحات العمارة والعمران في القرآن الكريم ... "نحو لغة معمارية دقيقة وموحدة" منشور في موقع:

[http://www.bonah.org. ال -القرآن-ال] 14، مايو 2013

² - ألفاظ البنين في القرآن الكريم والحديث الشريف، محمد النمينج، رسالة دكتوراه في الدراسات الإسلامية، بجامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس 2006.

³ - لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى 1410هـ- 1990م

⁴ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث القاهرة، الطبعة الثانية 1408هـ- 1988م

⁵ - معجم مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق نديم مرعشلي، دار الفكر بيروت.

⁶ - معجم ألفاظ القرآن الكريم في علوم الحضارة: الآثار والعمارة والفنون، عثمان عثمان إسماعيل، الطبعة الأولى 1994م.

في المحاور العمرانية الآتية:

مدخل جمعت فيه مصطلحات عامة.

1- التخطيط المجالي الوطني

2- التخطيط الحضري والقروي

3 -الهندسة المعمارية

4-القوانين الموجهة

5-العوامل اللازمة لإنجاز المشروع

المدخل

يضم اثنين وسبعين مصطلحا تهم المهنة كلها، ولها إشعاع على جميع التصنيفات، رُتبت بدورها في المجموعات الآتية:

أ- مفاتيح مصطلحية لمهنة الهندسة المعمارية: كمصطلح: الجمال، البنيان، التشييد، العمارة، الإعمار، التراث....

ب-مصطلحات المهن والصنائع: البتاء، الصانع...

ج-وسائل وأدوات الإبداع: القلم، مداد، صحف، قرطاس، دائرة...

د- أسماء مدن وقرى وأماكن: يفوق عددها 14 اسما كمكة، بابل، مصر، عرفات ...

هـ-مصطلحات مشتركة

هذه مصطلحات مشتركة بين العلوم، وقد نجدها في التعبير العام، لكنها حاضرة بقوة في مجال العمران،

حيث تستعمل في الوصف والبيان أو الاستدلال، كمصطلح: ارتفاع، أسفل، جانب، أمام، خلف، وجه...

1 -التخطيط المجالي الوطني

التخطيط المجالي أو التخطيط الإقليمي له عدة تعاريف، وعلى الرغم من تعددها تتفق في

كون التخطيط الإقليمي أحد أساليب وأنواع التخطيط التنموي وجزء منه، ويرتبط بإقليم معين أو مكان جغرافي محدد ويهدف إلى جملة من الأهداف:

- العمل على تحقيق التوازن بين توزيع السكان والموارد الطبيعية...

- الاستغلال العقلاني والمتوازن للموارد والإمكانات المتوفرة...

- تحسين المستوى المعيشي لسكان الإقليم...

- تثبيت سكان الريف...

- العمل على تحقيق اللامركزية الإدارية...

- تخفيف الضغط على المدن الكبرى ومعالجة مشاكلها الحضرية¹...

وقد جاء في القرآن الكريم اثنان وعشرون (22) مصطلحا تخص تخطيط المجالي الوطني موزعة على:

أ- التجمعات العمرانية (الحضرية والقروية): البلد، بلدة، البدو، القرية، المدينة...

ب- المجال الطبيعي: البحر، الجبل، السهل، مرعى، جرف، رُبوة...

2- التخطيط الحضري والقروي

التخطيط الحضري علم واسع يجمع بين متغيرات عدة، طبيعية واجتماعية واقتصادية وهندسية من أجل توجيه نمو المدينة ومعالجة مشاكلها بما يخدم سكانها، ويوفر لهم متطلبات الحياة الحضرية... ويعني رسم الصورة المستقبلية وفق معطيات متاحة مكانيا، ومن منظور عقلائي وفق أسس وأنظمة وقوانين ومن خلال استخدام أفضل الوسائل والتقنيات ولتحقيق أهداف محددة²...

ويضم هذا المحور ثلاثة وسبعين (73) مصطلحا يتقدمها مصطلح عدوة الذي جاء للتعبير عن جزء من المدينة، وقد وزعت كما يلي:

أ- السكن: المسكن، المنزل، البيت، الدار، الخيمة، القصر...

¹ - مدخل إلى التخطيط الإقليمي والحضري، فؤاد بن غضبان وفاطمة الزهراء بركاني، الصفحات: 60 و 68-69.

² - "تخطيط المدن. نظريات. أساليب. معايير. تقنيات"، خلف حسين علي الديلمي، الصفحات 75-78.

ب -المرافق العمومية: المسجد، النادي، الصلاة، البيعة، الصومعة، السوق، السّجن ...

ج-شبكات البنيات التحتية

وتتضمن الطرق: (الطريق، السّرَب، سبيل...)، والماء:(البئر، العيون، السد، السلسيل...)

والتطهير: (المجاري، الحفرة، الموارد، القرار، المطر...)

د -المناطق الخضراء: الجنة، الحديقة، الروضة، الشجرة، وأنواع أخرى سُميت بأسمائها

كالنخل والزيتون والعنب والتين...

هـ-البنيان الدفاعي: الحصن، البرج، القصر، الردم، الصيص، الرباط...

3-الهندسة المعمارية

الهندسة المعمارية هو المصطلح الأكثر تداولاً بين المختصين والباحثين، لكن تعريفه يختلف من فرد لآخر انطلاقاً من خلفياته الفكرية أو الإيديولوجية أو انتمائه لمدارس وتيارات هندسية معينة¹.

وفي الموسوعات العصرية تعرف الهندسة المعمارية بأنها:(طرق، وفن ، وتقنية إنشاء المباني استناداً إلى قواعد محددة....والمهندس المعماري هو تقني ينشئ تصاميم البنايات ويراقب أشغالها...)²

والهندسة المعمارية هي فن إبداع بناء بمواصفات جمالية، يحمي الإنسان من الإزعاج الطبيعي أو الاصطناعي ويلبي حاجاته الوظيفية والروحية. وعرف القلقشندي المهندس بأنه: " هو الذي يتولى ترتيب العماير وتقديرها ويحكم على أرباب صناعتها، والهندسة علم معروف فيه كتب مفردة بالتصنيف"³.

¹ - التراث العمراني: بحث مرجعي في العمران والبنيان، عبد العزيز الصالحي، ص15.

² - ترجمة شخصية مقتطفة من موسوعة "أكسيس"، العالم الوثائقي، هاشيت (بتصرف) .

AXIS,l'univers documentaire, Etienne Vendroux(directeur général),1993 Le livre -de Paris-HACHETTE, V.1, page160

³ - صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، القلقشندي، ج.5، ص667.

لكن في مفهومنا هذه الإشكالية محسومة بتبني مصطلح البنيان عوض الهندسة المعمارية. ويضم هذا المحور سبعين ومئة (170) مصطلح موزعا على الشكل التالي:

أ - أدوات ومواد البناء.

أ.1- أدوات البناء: الدلو، اللوح، الدسر، الوتد، السلسلة...

أ.2- مواد البناء: الماء، الحجر، الصخر، الطين، الخشب...

ب - الأشغال الأساسية.

ب.1- الأساسات: الأساس والقاعدة.

ب.2- الدعامات: العماد، الكن، الجدار...

ب.3- الغطاء والسقف والأرض: السقف، السطح، الطبق، المعراج...

ب.4- الدرج: السلم، الدرجة...

ب.5- السلامة في البناء: وقاية، سلامة، ميل، حمل...

ج - الأشغال الثانوية (التشطيب): الزينة، الزخرف، النحت، التراس...

د - الفضاءات الداخلية والخارجية للبنيان

د.1- الفضاءات الداخلية: الحجرة، الغرفة، الجناح، المدخل، المخرج، المستودع، الفجوة..

د.2- التهيئات الخارجية: الساحة، الأرجاء، الوصيد، العريش...

هـ- مراقبة الوسط: الريح، الرائحة، الدخان، الصوت، الهز، الشمس، النقع...

و- مفاهيم إبداعية.

و.1- ضوابط قياسية: الطول، العرض، الذراع، الرحب، السمك...

و.2- اتجاهات: القبلة، الشرق، الغرب، يمين، شمال...

و.3- الألوان: اللون، دهان، أصفر، أبيض، أحمر، أخضر...

ز- وصف حالة البنيان: الخراب، الهدم، النقض، الثقب، الهيئة، الإصلاح...

ح- التأثيث: الأثاث، المائدة، الزربية، الفرش، الأريكة، المصباح ، المشكاة، البساط، الكأس، الآنية...

4-القوانين الموجهة

يعتبر الجانب القانوني قطب الرحى في جميع مراحل آليات الإنتاج العمراني، ولا يمكن الاستغناء عنه: سواء في مرحلة التخطيط أم أثناء البناء أم في التدبير الحضري... والهدف من سنّ القوانين هو جلب المنافع ودرء المفسدات عن العباد، وبه تضمن الحقوق والعيش الهنيئ الرغيد. وقد جاءت القوانين المؤطرة للعمران على شكل أحكام وضوابط، منها ما أُلّف في مظان ومنها ما هو مبثوث في كتب القضاء والفتوى والنوازل . ويضم هذا المحور أربعة وعشرين (24) مصطلحا. منها: الضرر، الجوار، العرف، الإرفاق، الحكم، العدل، الحق ، الخصومة، المظلمة، ...

5-العوامل اللازمة لإنجاز المشروع

بالإضافة إلى القوانين الجاري بها العمل، فإن عملية الإنتاج العمراني الأصيل تؤطرها عوامل مصاحبة تعتبر ضرورية لإنجاحها، أهمها العامل العقاري، والعامل التمويلي، ثم العامل التنظيمي والمؤسساتي، حيث نجدها حاضرة في التخطيط والإنشاء والتدبير. ويضم هذا المحور اثنين وعشرين (22) مصطلحا موزعا كالتالي:

أ- الجانب العقاري : موثق، وكيل، بقعة، قطعة، قسمة، ورثة، نصيب، حد، إحداث...

ب- الجانب التمويلي:كلفة، ثمن، صدقة، شركة، تملك، أجر، تطوع...

ج-الجانب التنظيمي المؤسساتي: قضاء، أجل، وقت، ميقات...

وتوجد في الجانب التنظيمي والمؤسساتي مصطلحات عمرانية قد لا نجدها بأسمائها، لكن مفاهيمها حاضرة في القرآن الكريم. فمصطلح الحسبة التي عرّفها الإمام الماوردي أنها (هي: أمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله)¹، غير موجود لكن عدة آيات تدل عليه،

¹ - الأحكام السلطانية، أبو الحسن الماوردي، ص240

يقول الله عز وجل:

- ﴿يَا بَنِي آدَمُ اقِمِ الصَّلَاةَ وَامُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ

عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ لقمان 17

- ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ

أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ آل عمران 110

- ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ

هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ آل عمران 104

وما جاء في موضوع الحسبة، ينطبق على الوقف أو الحبس، حيث حث الإسلام على الإنفاق

في سبيل الله وأعمال البر، وفعل الخيرات، يقول الله عز وجل:

- ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ آل

عمران 92

- ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ

وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ الأنبياء 73

- ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ

وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ آل عمران 114

وفي ختام هذا المحور نقول، إن وجود المصطلح العمراني في القرآن المبين يحتم

علينا الرجوع إليه، والانطلاق منه، واستعمال الحاضر منه، وإحياء غير المستعمل، والرجوع كذلك

إلى السنة الشريفة وحصر مصطلحات العمران الواردة فيها، لأنها أتت لشرح القرآن وتفصيل أمور

الشريعة، وبهذا يكتمل الجهاز المصطلحي لعلم العمران. وبكماله وكمال الأحكام والتفصيلات

والتشريعات المؤطرة تتولد العمارة، التي يمكن تسميتها بالعمارة الإسلامية، لأنها أنتجت بعقل

مسلم نهل من الشريعة والتزم بأحكامها في إنتاجاته.

وبالرجوع إلى المصطلح القرآني، يُدرك الفهم السليم للمفاهيم وينبني المنهج ويتضح التصور.

ثانيا- تتبع حضور المصطلح القرآني في الكتب التراثية.

بعد جرد المصطلح في القرآن الكريم، تم رصد هذه المصطلحات والألفاظ في علم العمران بالرجوع إلى بعض الكتب التراثية، حيث رصدنا سبعة وثلاثة مئة مصطلح باعتمادنا ثلاثة مؤلفات:

1- كتاب الإعلام بأحكام البنين لابن رامي¹ (توفي أواخر القرن الثامن)، لأنه:

- أخذ عن السابقين، واعتمد كتباً معمولاً بها عند المالكية منها:

- وثائق ابن القاسم (ت191هـ)
 - كتاب عبد الله بن الحكم² (ت214هـ)،
 - كتاب ابن عبدوس (ت220هـ)
 - "الواضحة" لابن حبيب (ت238هـ)
 - "المدونة" لسحنون (ت240هـ)
 - "العتبية" لمحمد العتيبي (ت245هـ)
 - وكتاب الأجوبة لمحمد ابن سحنون (ت256هـ)
 - "النوادر والزيادات" لابن أبي زيد (ت386هـ)
 - كتاب "نفي الضرر" لابن الإمام³ (ت386هـ)
 - "وثائق ابن المغيث" (ت429هـ)
 - "التبصرة" للخمّي (ت478هـ)
 - "المتيطة" لابن عبد الله المتيطي (ت570هـ)
 - كتب النوازل والقضاء كالأحكام لابن زمينين (ت399هـ)، والأحكام لابن هشام (ت606هـ)
- إن هذا الرجل جمع بين الحسنيين: بين العلم الشرعي والاحتكاك بعلماء وقضاة عصره، ثم كونه مَرَمَ من جميع مراحل صناعة البنين: من خدام إلى نصف معلم إلى معلم، ثم أصبح من أهل البصارة، وهو ما يسمى حالياً "الخبرة".

2- مقدمة ابن خلدون¹

¹ - الإعلان بأحكام البنين، محمد بن إبراهيم اللخمي الشهير بابن رامي، اعتنى به أبو الفضل الديماطي أحمد بن علي.

² - لم يصلنا هذا الكتاب لكن أخذ عنه اللاحقون، منهم ابن أبي زيد في "النوادر والزيادات".

³ - القضاء بالمرفق في المباني ونفي الضرر، عيسى بن موسى بن أحمد بن الإمام التطلبي، تحقيق محمد النمينج.

تعتبر المقدمة مؤلفا موسوعيا تناولت جميع ميادين المعرفة من الشريعة والتاريخ والجغرافية والاقتصاد والعمران

والاجتماع والسياسة والطب والمعرفة.

وقد سبق ابن خلدون غيره من المفكرين إلى العديد من الآراء والأفكار حتى اعتبر مؤسس العلم الاجتماع، وعلم العمران، لذا فهذه المقدمة تضم كما هائلا من المصطلحات الأصلية.

3-المعيار للونشريسي²

« المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب " لأبي العباس الونشريسي، وهو من أشهر الكتب المؤلفة في الغرب الإسلامي. فقد حوى هذا المؤلف مجموعة ضخمة من فتاوى واجتهادات فقهاء القيروان، وبجاية، وتلمسان، وقرطبة، وغرناطة، وسبتة، وفاس، ومراكش، وغيرها من عواصم الغرب الإسلامي طيلة ثمانية قرون.

وبما أننا اعتمدنا هذه الكتب، فإن المصطلحات المدرجة في الملحق الأول، والمخصص لمصطلحات العمران الواردة في القرآن الكريم والحاضرة في هذه الكتب، ستكون مصحوبة برقم الصفحة والجزء إن وجد، وذلك على الشكل التالي:

- المصطلحات الحاضرة في كتاب الإعلان بأحكام البنيان، ستكون مصحوبة برقم الصفحة، مثال: مصطلح 75.

- المصطلحات الحاضرة في مقدمة ابن خلدون، ستكون مصحوبة برقم الصفحة وتحتها سطر،

مثال: مصطلح 75.

- المصطلحات الحاضرة في المعيار ستكون مصحوبة برقم الصفحة والجزء، مثال: مصطلح 3/75.

¹ - مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، تحقيق حامد أحمد الطاهر.

² - المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، أبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي .

وهذا جدول يضم مصطلحات علم العمران الواردة في القرآن الكريم، ويبين الحاضرة وغير الحاضرة منها في الجهاز المصطلحي للعمران ونسبها المئوية، وذلك حسب الكتب التراثية سالفه الذكر:

تصنيف المصطلحات	العدد الوارد في القرآن	العدد الحاضر منها في العمران	نسبتها المئوية	العدد غير المستعمل	نسبتها المئوية
مصطلحات عامة (مدخل)	69	57	%82.6	17	%17.4
التخطيط المجالي الوطني	22	14	%63.6	9	%36.4
التخطيط الحضري والقروي	73	57	%78	16	%22
الهندسة المعمارية	167	134	%80	33	%20
القوانين الموجهة	24	24	%100	0	%0
العوامل اللازمة لإنجاز المشروع	22	22	%100	0	%0
المجموع	369(*)	307	%83	75	%17

(*) يضاف إلى هذا العدد 15 مصطلحا بأسماء أماكن ومواقع ذكرت في القرآن الكريم، ليصبح العدد الإجمالي للمصطلحات الحاضرة هو ثلاثة وثمانين وثلاثة مائة (383) مصطلح. ويبقى هذا المجهود بعيدا عن استغراق المصطلح العمراني في القرآن الكريم، لأن القرآن لا تنقضي عجائبه، كما جاء في الحديث الذي رواه الترمذي عن علي رضي الله عنه قال... سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "...هو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ولا

يشبع منه العلماء ولا يَخْلُقُ على كثرة الرَّدِّ ولا تنقضي عجائبه...¹.

فقارئ القرآن العظيم قد لا يدرك المصطلحات التي يبحث عنها بسهولة، وقد لا يدرك مفاهيمها، فيحتاج إلى مجهود جبار وقراءة مستمرة، واحتكاك دائم، ليعيها ويستنبط مدلولاتها. ومما يستنتج مما سبق، أن اللغة العربية استوعبت علم العمران-كما هو الشأن بالنسبة للعلوم الأخرى المادية وغير المادية - وهي قادرة على استيعاب مستجدات هذه العلوم ومستحدثاتها ، لكن العيب فينا، كما قال عبد الصبور شاهين: "لكنها تذبج كما تذبج الشاة من طرف أبنائها"².

3-تقديم مقترحات لتوثيق العلاقة بين القرآن الكريم والهندسة المعمارية

القرآن المبين بشموليته يغطي جميع مناحي الحياة، لكنه يتغاضى عن الأمور التقنية ودقائقها، كما هو الشأن في العمران، فلم يتدخل في الكيف وشروط الجودة والسلامة وغيرها. لكنه سنَّ قواعد وضوابط وأحكاما لتحقيق جميع ضروريات الأمة. ولإدراك هذه القواعد والضوابط والأحكام على الوجه الصحيح، وإعمالها في المنتج المعاصر، لا بد من الانطلاق من المصطلح العمراني في الوحي.

ولتوثيق العلاقة بين القرآن الكريم وعلم العمران لا بدّ من اتباع مراحل متسلسلة بعضها يفتقر للآخر:

1- الاقتناع بالمشروع التراثي والعمل على إحيائه والإيمان بأن الإنتاج العمراني الأصيل ليس إنتاجا اعتباطيا من حيث هو موروث ثقافي، بل هو نتاج حضارة إسلامية عريقة، له قواعد وضوابط وأحكام مستمدة من الشريعة الإسلامية .

2- على المشتغلين في المجال والمعماريين خاصة، معرفتها وضبطها والسعي للعمل بها.

3- ولضبطها يجب الاعتناء باللغة العربية أولا، ثم الإمام بالعلوم الشرعية ثانيا، بالقدر الذي يُستطاع به استيعاب ما دُوّن في أمهات الكتب التراثية الفقهية، واكتساب الدربة والمملكة في فهم النصوص وطرق الاستنباط وكشف خبايا التراث العمراني.

¹ - باب ما جاء في فضل القرآن، سنن الترمذي، حديث 2906، الجزء 5، ص 20.

² - في درس بعنوان: القرآن بلغة الأئمة، ألقاه في الدروس الحسنية الرمضانية التي كان يرأسها الملك الراحل الحسن الثاني.

4- هذا الأمر لا يتأتى إلا بالرجوع إلى المصطلح في القرآن الكريم والسنة المطهرة والانطلاق منهما واتخاذها قاعدة في كل الدراسات، فإذا كانت اللغة هي مفتاح العلوم فإن أبواب كل علم مصطلحاته.

الرجوع إلى المصطلح القرآني أصبح حتمياً لتداوله ونشر الحاضر منه بين العاملين في المجال، واستعمال غير الحاضر منه، ثم العمل على توليد المصطلحات المناسبة للمستجدات والمستحدثات انطلاقاً من القرآن الكريم واللغة العربية التي تعد من أغنى اللغات من حيث اشتقاقها. وفي هذا الإطار فمصطلحات العمران الواردة في القرآن الكريم غير الحاضرة في الجهاز المصطلحي العمراني ، يمكن تصنيفها إلى:

1- مصطلحات يمكن استعمالها وتداولها بسلاسة وبدون عناء، منها، على سبيل المثال لا

الحصر:

- سهل : أرض ممتدة مستقيمة السطح.
- رُبوة : ج.رُبوات ورُبوى وهو ما ارتفع من الأرض بين سهلين أو نهريْن، أو أرض عالية طيبة.
- موئل : مَلْجأ وَمَنْجى.
- نادي : ج.أَنْدِيَّةٌ وَنَوَادٍ وَنَوَادِي وهو مجلس القوم ومتحدّثهم، ويستعمل الآن للتعبير عن مكان التسلية واللّهو، أو مركز لتعليم بعض الحرف الصغيرة...
- نفق : الطريق النافذ والسرب في الأرض الذي تخلص منه إلى مكان آخر.
- حديقة : الأرض ذات الماء والبستان من النخيل والأعناب والأشجار المحوط عليها. لكن اتسع المصطلح ليشمل كل حائط ودونه.
- صلصال : طين يابس يسمع له صلصلة، أي صوت إذا نُقر.
- نحت : نَحَتَ يَنْحِتُ وَيَنْحِتُ ، نَحْتًا وَنَحِيَّتًا ، فهو ناحِت ، والمفعول مَنْحُوت ونَحِيَت، نَحَتَ الحجرَ أو المعدنَ أو الخشبَ : قشره وبراه بُغية إعطاء شكل معين.
- فجوة : مُتسع من الكهف ومن المجال.

- وصيد : الفناء أو الباب أو عتبتها.
- زربية جمع زرابي: بسط مفروشة، سَجَّادَةٌ تُصْنَعُ مِنَ الصُّوفِ.
- أريكة : ج. أرائك وهو السرير المزين في الحجرة أو الفراش، وقيل هو كل ما اتكى عليه من سرير أو فراش أو منصة.
- متكأ : ما يُتَكأ عليه من الوسائد وغيرها.
- مشكاة : الكوة غير النافذة، يوضع فيها المصباح فيسطع أكثر...
- 2- مصطلحات عمرانية قرآنية غير واردة في التراث العمراني لكن يمكن استعمالها في عملية توليد المصطلح، ومثال ذلك:
- الثرى : ج. أثراء: الثَّراب النَّدي، من فعل ثرى الثراب: نَدَّاه، وهي المادة التي تستعمل في البناء بالتراب (le pisé)، وصناعة اللبن المضغوط (le béton de terre compressé).
- الصفصف : الاستواء لا مَيْل ولا ارتفاع ولا انخفاض فيه. ويمكن استعمال هذا المصطلح للتعبير عن هيئة بنائين متلاصقين مستويين (à fleur)، نقول: une construction à fleur de l'autre، وهكذا يمكن التعبير ببنائية صفصفا للمجانية لها.
- القاع : المنبسط والمستوي، والقاع : أرضٌ مستوية مطمئنة عما يحيط بها من الجبال والأكام ، تنصب إليها مياه الأمطار فتتمسكها ثم تُنبَت العشب (le bassin versant)، وهذا التعبير يستعمل في تربيء الأراضي قصد تعميمها.
- دكة ودكاء : المنهدم والمستوي بالأرض، ومدكوك (à ras du sol).
- التَّمْريد : مَرَدَّ يَمْرِد ، تمريداً ، فهو مُمَرِّد ، والمفعول مُمَرَّد، مَرَدَّ البناء : سَوَّاه ومَلَّسه، ويمكن التعبير به عند كسوة الحائط بطلاء رفيع عاكس كأنه الزجاج، فنقول حائط ممرد.
- الصدف : الجانب و الناحية ، ويقال للبناء جانب الجبل (le pied mont)
- زُبر: ج. زبرة وهي قطع الحديد. نقول زَبَرَ الْبِنَاءَ: وَضَعَ جِجَارَتَهُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ.
- صيب : من صاب يصوب أي ينزل، والصيب: المطر شديد.
- الأمت : جمع إِمَاتٍ ، و أُمُوت، وهو التُّتُو اليسير.

• العوج : ضد التسوية بأبلغ ما يكون. "...لو عمدت إلى قطعة أرضية وبالغت في التسوية على عينك وعيون البصراء...ثم استطلعت رأي المهندس فيها وأمرته أن يعرض استواءها على المقاييس الهندسية، لعثر فيها على اعوجاج..."¹. إذن نقول مساحة بلا عوج: أي مُسواة بدقة متناهية.

ويعتبر هذا المجهود لبننة أولى في بناء الصرح المصطلحي للعمران في القرآن الكريم، ورغم صغره، أملنا أن ينمو ويكبر حتى يصل إلى الهدف المنشود بإذن الله تعالى، كما قال أبو السعادات ابن الأثير في مقدمة "النهاية": (إن كل مُبتدئ لشيء لم يُسبق إليه ومُبتدِع لأمر لم يُتقدَّم فيه عليه، فإنه يكون قليلا ثم يكثر وصغيرا ثم يكبر)².

ولبناء هذا الصرح، وجب الابتداء بمراجعة المناهج التعليمية وتجديدها حتى يستطيع الفاعل والباحث أخذ ما يحتاجه في تخصصه من العلوم الشرعية التي أصبحت معرفتها ضرورية، الشيء الذي لا يتأتى إلا باعتماد مصطلح الوحي تفكيرا وتعبيرا وتديرا، الشيء الذي يستقيم به الأمر فهما وتصورا ومنهجيا.

والحمد لله رب العالمين.

¹ - الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جاز الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري، ص 85.

² - النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، ج 1 ص 3.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص
- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي أبو الفضل، تحقيق مركز الدراسات القرآنية، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف 1426 هـ في 7 مجلدات.
- الأحكام السلطانية و الولايات الدينية، أبو الحسن علي بن محمد بن البصري البغدادي الماوردي (ت450هـ)، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 1405هـ-1985م.
- أحكام القرآن، أبو بكر ابن العربي، تحقيق: محمد إبراهيم الحفناوي وإسماعيل محمد الشندي، دار الحديث، القاهرة الطبعة الأولى 1433هـ/2011م.
- الإعلان بأحكام البنين ، محمد بن إبراهيم اللخمي الشهير بابن رامي، اعتنى به أبو الفضل الدمياطي أحمد بن علي، مركز التراث الثقافي المغربي الدار البيضاء، دار ابن حزم، الطبعة الأولى 1433هـ-2012م.
- ألفاظ البنين في القرآن الكريم والحديث الشريف، محمد النمينج، رسالة دكتوراه في الدراسات الإسلامية، بجامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس 2006.
- "تخطيط المدن. نظريات. أساليب . معايير. تقنيات"، خلف حسين علي الديليبي، دار صفاء للنشر والتوزيع عمان، الطبعة الأولى، 1437-2015م.
- التراث العمراني: بحث مرجعي في العمران والبنين، عبد العزيز الصالحي، بحث لنيل الإجازة في الفقه وأصوله، جامعة محمد الخامس الرباط، سنة 1436 هـ-2015م.
- دراسات مصطلحية "مبدع" ، عبد المجيد طرباق، العدد الثالث 1424هـ-2003م، ص222.
- دراسات مصطلحية "مبدع"، قول في المصطلح، الشاهد البوشيخي ، العدد الأول، 1422هـ-2001م.
- دراسات مصطلحية "مبدع"، محمد هيثم الخياط، حول وضع المصطلح وتعريف المصطلح: ملاحظات ميدانية، العدد الثالث، 1424هـ-2003م.
- سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، تحقيق محمد مصطفى حسين الذهبي، دار الحديث القاهرة، الطبعة الأولى 1419هـ-1999م.

- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (المتوفى: 821هـ)، دار الكتب العلمية بيروت.
- صحيح البخاري، البخاري، أبو عبد الله، شرح وتحقيق: قاسم الشماخي الرفاعي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، لبنان، الطبعة الثالثة 1997، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة.
- العالم الوثائقي، موسوعة "أكسيس"، هاشيت،
- de l'AXIS, l'univers documentaire, Etienne Vendroux (directeur général), 1993 Le livre - de Paris- HACHETTE, V.1, page 160
- القضاء بالمرفق في المباني ونفي الضرر، عيسى بن موسى بن أحمد بن الإمام التطيلي، تحقيق محمد النمينج، منشورات الإيسيسكو 1420هـ-1999م.
- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري (ت 537هـ)، رتبته وضبطه وصححه محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثالثة 1424هـ-2003م.
- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى 1410هـ-1990م.
- مجلة حراء التركية، من القرآن إلى العمران، الشاهد البوشيخي، عدد 35، السنة الثامنة، (مارس- أبريل 2013).
- مجلة حراء التركية، نحو تصور إسلامي معاصر لقضايا العمران، العربي بوعباد، عدد 27، السنة السابعة، (نوفمبر- ديسمبر 2011).
- مدخل إلى التخطيط الإقليمي والحضري، فؤاد بن غضبان وفاطمة الزهراء بركاني، الدار المنهجية للنشر والتوزيع عمان، الطبعة الأولى 1437هـ-2016م.
- مصطلحات العمارة والعمران في القرآن الكريم ... "نحو لغة معمارية دقيقة وموحدة"، يحيى وزير، منشور في موقع: [مصطلحات-العمارة-والعمران-في-القرآن-ال،

2013 [http://www.bonah.org] 14 ماي

- معجم ألفاظ القرآن الكريم في علوم الحضارة: الآثار والعمارة والفنون، عثمان عثمان إسماعيل، الطبعة الأولى 1994م.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث القاهرة، الطبعة الثانية 1408هـ-1988م.
- معجم مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق نديم مرعشلي، دار الفكر بيروت.
- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، أبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي (ت917هـ)، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي.
- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: 502هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى 1412 هـ
- مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، تحقيق حامد أحمد الطاهر، دار الفجر للتراث القاهرة، الطبعة الثانية 1434هـ-2013م.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية بيروت 1399هـ - 1979م.

